DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

تحليل الخطاب الأدبي في ضوء النظريات التداولية (دراسة ومقاربات)[1]

د. محمد الأمين الشيخ أحمد
أستاذ الأدب والنقد المساعد
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة القصيم - المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: alhayba@gmail.com

د. عبد الله بن حمود الفوزان
أستاذ الأدب والنقد المساعد
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة القصيم - المملكة العربية السعودية

الملخص

يسعى البحث إلى عرض فكرة إخضاع الخطاب الأدبي والشعري خاصة إلى التحليل عن طريق إجراءات النظريات التداولية، وبما أن الأمر قد يبدو صعباً من الوهلة الأولى، بحكم كثرة هذه النظريات من جهة وبحكم عدم التسليم بملاءمتها للخطاب الأدبي عامة والخطاب الشعري خاصة، إلا أن البحث لم يغفل جميع هذه الآراء، بحيث طرح التساؤل حول مدى جدوائية هذه الفكرة من الأساس، فالشعر تعالي على اللغة العادية والتداولية منهج ترعرع في أحضن الفلسفة النفعية، والتي تقيس الأشياء بمدى فائدتها.

لكن البحث أيضا في نفس الوقت يذّكر بمحورية الشعر في القافة العربية، وبأهمية السياق، في التراث العربي، الأمر يجعل دراسة الخطاب الشعري دون النظر إلى الحيثيات التي ولد فيها، تعتبر دراسة ناقصة، ومن هنا كان للتداولية أن تحط رحالها في هذا الخضم، فاقترح البحث – بعد عدة توطئات - مجموعة من الإجراءات، التي تحفل بها النظريات التداولية، وجربها على مجموعة من النصوص المختلفة في الأغراض والمذاهب والحقب، بحثيث لا يجمعها سوى الجنس الأدبي الذي هو الشعر، وتوصل البحث أخيراً من خلال دراسته التطبيقية إلى مجموعة من النتائج، يمكن أن يُستفاد منها في المستقبل، أو يُبنى عليها في دراسات، لا حقة.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الأدبي، النظريات التداولية.

[1] الشكر والتقدير لجامعة القصيم Qassim University ممثلة بعمادة البحث العلمي لدعمها هذا المشروع.

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

Literary Discourse Analysis in Light of Deliberative Theories (A study and approaches)

Dr. Mohammed Al-Amin Sheikh Ahmed
Assistant Professor of Literature and Criticism
Department of Arabic Language and Literature - Qassim University - KSA
Email: alhayba@gmail.com

Dr. Abdullah bin Hamoud Al-Fawzan
Assistant Professor of Literature and Criticism
Department of Arabic Language and Literature - Qassim University - KSA

ABSTRACT

The present study seeks to present the idea of subjecting the literary and poetic discourse especially to the analysis through the procedures of the deliberative theories; since it may initially seem difficult, because of the large number of these theories on the one hand and the lack of recognition of their suitability to the literary discourse in general and the poetic discourse in particular on the other, all these views were not neglected in that a question , on the feasibility of this idea was raised here. Needless to say, poetry does have transcendence over ordinary language, and deliberative curriculum has grown up in the warm lap of utilitarian philosophy, which considers the usefulness and effectiveness of things as essential criteria for measuring them.

The study does, however, simultaneously refer to the centrality of poetry in the Arabic language, and the significance of context in the Arab heritage; this makes the study of poetic discourse without looking at the rationales in which it was born incomplete. That is basically how deliberation had cropped up. Thus, the current study proposed, of course after several introductions, a series of procedures proponent to deliberative theories, and applied them to a variety of texts of different purposes, doctrines and periods the common thing to which is poetry. This study, which is applied in nature, concluded with a set of results that would certainly be of use to all concerned and based on which subsequent studies can be built.

Keywords: literary discourse, deliberative theories.

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

تمهيد:

تحاول هذه الأوراق الإجابة عن بعض التساؤلات التي طرحت نفسها بإلحاح أو طرحها بعض الباحثين والمهتمين بالمجال من أساتذة وطلاب وباحثين فجاءت هذه الورقة للإجابة-أو بالأحرى محاولة الإجابة- على تلك التساؤلات والتي هي من قبيل:

- ما مدى استفادتنا -في قراءتنا للشعر- من منهج ترعرع في أحضان فلسفية نفعية، مهتمة بدراسة الخطاب العادي أو اليومي؟
- هل يمكن أن نثق في نجاعة إجراءات المنهج حين نطبقه على الشعر الذي يعرف بأنه تعالي على اللغة، وثورة لغوية على المألوف، و"كسر لأفق المتلقي"؟
- على فرضية التسليم بأن الأمر على هذا النحو فماهي الإجراءات التداولية التي نقترحها، وكيف يمكننا من خلالها أن نتجاوز بعض الهفوات التي سقطت فيها المناهج السابقة؟

سوف تسعى الورقة لمحاولة الإجابة عن هذه التساؤلات وأخرى لا تقل عنها أهمية، -كما سبقت الإشارة- محاولة تسليط الضوء على ما من شأنه تقريب الإجابات وعرضها ومناقشتها، حيث لاتعد هذه الورقة بالحسم في مسألة كهذه بقدر ما تعد ببالغ الاهتمام من خلال إشراك القارئ الكريم في مجموعة قراءاتنا وتساؤلاتنا التي ولدتها تلك القراءات.

سوف تمر الورقة –ابرغم محدوديتها- بمراحل متنوعة ومتباينة وقد لا يكون الانتقال بينها انتقالا سلساً أو معتادا بحكم وعورة المسالك وتشعب الطرق، إذ أن البحث يسري في طريق لم تعبدها أقلام البحث العربي بعد، ولكننا رأينا –ونحن في بداية الطريق-أن المرور بهذه المحطات يعطي الورقة صلابة تأصيلية تمكنها من الإجابة عن التساؤلات السابقة ويقدم إضاءة تجاه هذا الاتجاه.

حيث ستتطرق الورقة إلى "تجلية لعنوان البحث" قبل أن تنتقل إلى"لمحة تأصيلية" تُعنى بذكر ما استطاعت الوقوف عليه من ملامح التداولية أو ما يعادلها في تراثنا العربي ثم تنتقل إلى وقفة أخرى أسميناها "جدل حول المصطلح" مجملين فيه الحديث أيضاً حول ما جرى من تجاذبات وتردد حول ترجمة مصطلح "pragmatic" عند الغرب، قبل أن يستقر الأمر على مقابلة باللغة العربية "تداولية"، ثم ننتقل إلى التعريف بإجراءات المنهج التداولي وعن إمكانية تطبيقها على الشعر معتبرين الشعر في الوقت نفسه خطاباً يتصف بكل مميزات الخطاب التي بيّنها أهل الاختصاص، ثم نصل إلى تطبيق هذه الإجراءات أو بعضها على نماذج متنوعة من الشعر العربي الفصيح، محاولين الإجابة على ما استعطنا من التساؤلات السابقة.

من النص الشعري إلى الخطاب الشعري

يتجلى كما يشي به العنوان أن التعامل سيكون مع الشعر بوصفه خطاباً، وقبل ذلك كان لزاما أن نوضح ما نقصده بالخطاب.

ما الفرق بين النص الشعري والخطاب الشعري؟ لأننا نعتقد حد الجزم أن الحقل النقدي يشهد "زحمة في المصطلحات" أدت إلى فوضى في المفاهيم وضبابية في الفهم، تحاول الدراسة أن تتجنبها من خلال ضبط المفاهيم والمصطلحات التي تستخدمها.

فمصطلح "الخطاب" (discourse) الذي أضفناه بياء النسبة إلى الشعر نقصد به المصطلح النقدي المنهجي الذي ينتمي لما بعد البنيوية[2]، حيث تعتبر المدرسة الفرنسية صاحبة السبق في تحرير هذا المصطلح، خاصة ما أسهمت به جهود ميشيل فوكو والذي يعتبر الخطاب عنده "نسق من العلامات الدالة الخاصة بالأفراد أو الجماعات أو الموضوعات، ولكل نسق من هذه الأنساق الخطابية سمة خاصة به تميزه عن غيره من الأنساق، يتولى تمييزها وضبطها الخبير الخطابي"[3].

إذن فالخطاب، هو ذلكم البناء المغلق المكون من آلياتٍ وعلاماتٍ وقواعدَ كتابية وشفوية عامة، فهو بهذا المنظور بنية دلالية مختلفة وغير تقليدية حيث أصبح الخطاب مصطلحاً رائداً طلائعيا في التنظير الفكري والفلسفي

[2] مختار الفجاري: مناهج البحث اللغوي في العصر الحديث، دار الزمان، 2012، ص:142
[3] نفسه

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

والنقدي لما بعد البنيوية، مع أن هناك طائفة ليست بالقليلة من الباحثين الكلاسيكيين الداعين للتمسك بالقديم ينسبون نشأة الخطاب كمصطلح إلى البنيوية.[4]

يتمظهر الخطاب إذن عند فوكو ومن نحا نحوه من رواد المدرسة الفرنسية بتلك الأداة المنهجية التي تحاول إعادة الاعتبار لجميع العناصر التي تحف وتحيط بالدلالة أو تلعب دورا في تشكيلها، فهو عندهم مفهومٌ يقوم بتنظيم وظائف مترابطة ومتمازجة ومتعاونة لمختلف العناصر التي تسهم من قريب أو بعيد في تشكيل الدلالة، فالخطاب بهذا المعنى يعتبر النص جزءا منه بل ويعتبره عنصرا من بين عناصر أخرى لا تقل عنه أهمية في الدور الذي يلعبه كل منها لتشكيل الدلالة أو المعنى مثل النص والسياق والتاريخ وبقية الحيثيات التي ترسم ملامح الدلالة أياً كانت طبيعتها.

وهكذا بدأ مفهوم الخطاب يتنامى شيئا فشيئا حتى اكتسح النقد والفكر والفلسفة بل والعلوم الإنسانية بصفة عامة، فهو عملية إفراز لذلك الترف المعرفي والزخم العلمي الذي عجّ به فكر ما بعد البنيوية، حيث أصبح "الخطاب" ممكناً للمتلقي من الإدراك والوعي بكونه طرفاً في صناعة المنعى فيعي المتلقي بذلك أن عليه الحذر فهو يقدم وجهاً قرائياً للنص وإمكانية من بين إمكانيات متعددة فيؤمن المتلقي أن الخطاب لم يستنفذ فيتجنب التعصب فبمجرد أن نقول مثلا: "الخطاب الديني" بدلا من "الفكر الديني" فإن المتلقي في العنوان الأول/الخطاب يفهم مباشرة أننا نقدم قراءة من بين عدة قراءات ولا ندعي الاحتكار بخلاف الثانية التي قد نواجه معها تعصبا من قبل المتلقي، فالخطاب لا يعني الفكر إنما احتمال من عدة احتمالات منه والخطاب لا يعني النص فالنص جزء من عدة أجزاء تشكل الخطاب.

فالخطاب في النقد الحديث هو انفتاح وهروب من مجال الفهم المطلق في الفكر إلى مجال الفهم النسبي فالخطاب هو إيمان باختلاف وُجُهات النظر.

والخطاب ليس النص لأنه أكثر منه شمولية فهو "يتجاوز كيان البنية ليدخل كيان التاريخ بنيوياً"[5]، ويتجاوز البنية الداخلية، فهو أي الخطاب يقوم بالمحافظة على كل الأدوات البنيوية من جهة، ويعيد الثقة في أدوات تعتبرها البنيوية تقليديةً، من جهة أخرى.

فالنقد في كنف تحليل الخطاب لم يعد مكتفيا في قراءته بتحديد العلاقات البنيوية داخل النص، بل وجد متنفسا لما كان يعرف سابقا ب"الجانب النفسي للشاعر/الكاتب" و ما كان يعرف أيضاً ب"الجانب الاجتماعي"، حيث صهر هذه الأشياء فيما يطلق عليه "السياق" بوصفه مفهوما شاملا لكل هذه الجوانب، يستخدم جميع أنواع الأساليب والتقنيات ليعبر فيه المتكلم بطرق غير مألوفة وغير تقليدية ليولد معاني غير مألوفة وغير تقليدية أيضاً.

حيث يرى رالف كوهين أن " العمليات التي يتم بها إقامة الأنواع تتضمن دائما حاجة الإنسان إلى التمييز بين الأشياء، وحاجته إلى إقامة العلاقات بينها في الوقت نفسه. وحيث إن أهداف النقاد – الذين يقيمون الأنواع – أهداف متباينة، فإن البدهي أنه يمكن لنفس النصوص أن تنتسب لتجميعات مختلفة أو أنواع مختلفة، وأن تخدم أغراضا نوعية مختلفة "([6]).

الخطاب يبقى منفتحاً على عدة أوجه واحتمالات تسير "تداولياً" بين فرضيتين هما: ما يقصده الشاعر/ الكاتب و ما يفهمه المتلقي/المحلل، لذلك نكرر أن الخطاب متلف تماما عن النص الذي يعتبر بنية مغلقة تعيش على ما يحدده لها صاحبها بينما الخطاب هو كما يقول المفكر محمد عابد الجابري: "الكلام المنظم عن أشياء بالسكوت عن أشياء وإبراز أشياء، وبعبارة أخرى –يقول الجابري- الخطاب هو الاستدلال على أشياء مع إغفال كثير من الأشياء"[7].

لئن كان مفهوم الخطاب من بين المفاهيم التي تحتاج ضبطا وتفصيلا قد لا تفي به سطور قليلة كهذه، إلا أننا ونحن لما نزل بعد في مستهل البحث آثرنا تجليته قصد التبيان والتوضيح لعتبة العنوان من جهة وقصد المنهجية والصرامة التي تمليها مبادئ البحث العلمي من جهة أخرى،

---

[4] ينظر :الفجاري، مختار، مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللغة العربية ، مجلة جامعة طيبة، العدد 3، 2014

[5] مطاع الصفدي: الخطاب الكثير، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 60-61، ص:3

([6]) التاريخ والنوع، رالف كوهين : ضمن كتاب القصة الرواية المؤلف دراسات في نظرية الأنواع الأدبية، ترجمة خيري دومة، دار شرقيات، القاهرة،1997م. ص: 26.

[7] محمد عابد الجابري تكوين العقل العربي، ط 14، 2014، ص:61

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

فالخطاب الشعري –باختصار- حسب المفهوم الذي يسعى ذووه[8] لتحديده ليس الكلام الصريح –كما سبقت الإشارة- وليس النص الشعري المغلق في بنيته بل هو الناتج من قراءة ذلك النص أو هو النص داخل سياقه وليس الفكر المطلق إنما هو إمكانية من ذلك الفكر.

نحن نمارس التداولية قبل أن نعرفها

لا جدال حول اهتمام الإنسان بالشعر أزليا وذلك كونه أرقى أدوات التعبير الوجداني التي اخترعها الإنسان معبراً من خلالها عن خلجات النفس وعراك المشاعر التي يصعب لأي جنس أدبي آخر معالجتها أو التعبير عنها بذات الدرجة. كما أن الشاعر من خلال أدواته الشعرية يقوم بتأسيس عالمٍ تواصلي متكامل العناصر والأبعاد التي تشكل عالم الإنسان، من بعد حضاري وثقافي واجتماعي وإنتربولوجي وغيرها، فمن هذا المنطلق يمكننا أن نقول إن قراءة خطاب شعري جاهلي مثلاً من خلال إجراءاتنا المقترحة، يمثل إعادة كل الحيثيات الاجتماعية والزمانية وغيرها أو بعبارة مسرحية هو "إعادة تمثيل المشهد" وهو أمر ليس باليسير لأن عملية "إعادة التمثيل" كما يحلو لنا أن نطلق عليها تتطلب من المحلل شمولية معرفية ودراية بكل المعطيات التاريخية والاجتماعية والثقافية وغيرها مما يعد آلة لفهم النص، فنحن حين نجري هذا النوع من التحليل فإننا بهذه أو بتلك نخضع للتعامل مع وحدات لغوية وضمائر تحيل إلى العوالم التي صدر فيها ذلك الخطاب، والكشف عن هذه العوالم سيثير معارفنا - بما لا يدع مجالا للشك- في فهم وتذوق وإدراك البعد الجمالي للقصيدة، الذي نعتقد استحالة الفصل بينه وبين العوالم التي أنتج فيها فنحن عندما نطرب ونتذوق خطابا شعريا ما، فإننا لا نعجب أو نطرب أو نتعاطف مع اللغة فحسب فالسياق هو جزء من القصيدة وقد يكون أهم عناصرها في بعض الأحيان، الأمر الذي ألزمنا بتخصيص مساحة لتجلية مصطلح الخطاب السابق.

لقد ظل الشعر محل تصوير فني عبر العصور المختلفة تصوير يُحمّله الشاعر أساليبَ خطابية وفنية تكفل له جعل المخاطب خاضعا أو متأثرا أو متعاطفا مع المتكلم/الشاعر الذي تتفاوت سلطته على القارئ بحسب تمكنه من أدواته الشعرية.

يصف له الأطلال فيبكيها معه ويشحنه بالحماس فيخوض الحروب ويخاطر بنفسه، وإنفاق ماله وجهده، ولذا فإن الشعر -لا مجادلة في أنه- يحتل مكانة خاصة في الثقافة العربية تجعل من دراسته خارج السياق دراسة مهمة ملهمة، لكنها في أعلى دراجاتها تظل ناقصة مهما اتسمت بالجدة والأصالة.

وحقيقة الأمر أن الدراسات الكلاسيكية للشعر العربي رغم كل نقائصها ومحدوديتها، إلا أنها دراسات مجتهدة قامت بتوفير بعض العناصر التي من شأنها أن تجعلنا نفهم البعد التداولي في الشعر العربي القديم الذي اهتمت به تلك الجهود.

فمن ذلك الاهتمام بمناسبة القصيدة والظروف والحيثيات، كالمحيط والبيئة والزمن والمناسبة التي ولد فيها الخطاب، فهذه المعطيات هي معطيات أساسية في عملية التحليل التداولي، وإنه لمن الصعوبة بمكان الوقوف على البعد الجمالي في الخطاب الشعري دون تلبس السياق الذي ولد فيه ذلك الخطاب.

وحين نمعن النظر أيضا في الخطابات القديمة وفي المناهج التي دُرست بها تلك الخطابات –بما فيها خطاب الشعر- لتلقفنا البعد التداولي بقوة حضوره ووجوده في إجراءات تلك المناهج وتعاملاتها مع تلك الخطابات، الأمر الذي جعل من الإشارة إلى وجود التداولية عند القدامى مسألة مطردة عند النقاد المحدثين، كما صرح بذلك محمد بوسويرتي حين قال: "....أن النحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين ما رسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلماً واتجاها أمريكيا وأوروبيا، فقد وُظِّف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر

[8] يقف البحث في حقل "تحليل الخطاب" حسب المدرسة الفرنسية وحسب ما آلت إليه آراء ميشيل فوكو وهو الرائد في هذا المجال، إلى تصنيف الخطاب إلى أربعة أصناف أشار إليها الدكتور مختار فجاري في كتابه "مناهج البحث اللغوي في العصر الحديث" بما موجزه:

1- حسب الحقل الخطابي: مثل الإسلامي ، الخطاب العلماني، الخطاب القومي ..إلخ
2- حسب نمط الخطاب: مثل الخطاب الصحفي، أو الخطاب الأدبي، أو الخطاب الإداري.
3- حسب نوعية أصحاب الخطاب: مثل خطاب الملوك، خطاب الأطباء ، خطاب العمال.
4- حسب وظيفة الكلام: مثل الخطاب السجالي، الخطاب الإلزامي ..إلخ.

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

والعلاقات المتنوعة"([9]). وهو الأمر الذي نجده عند المفسرين واهتمامهم بأسباب النزول فقد كان "...المفسرون تداوليين بامتياز حين نجدهم يقفون على العلاقات الداخلية في النصوص القرآنية لإقامة التفاعل بينها وبين سياقاتها الخارجية"([10]). والأمر نفسه نجده عند البلاغيين القدامى كما تفطن إلى ذلك صلاح فضل حين قال: " ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة "مقتضى الحال" وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال"([11]). كما نجده عند الجاحظ و عبد القاهر الجرجاني وأبي هلال العسكري وغيرهم، فعندما نقرأ مقولة أبي هلال العسكري " وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام ، فالواجب أن تُقسّم طبقات الكلام على طبقات الناسّ، فيخاطب السوقي بكلام السوقة، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عمّا يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام، وتنعدم منفعة الخطاب"([12]). فقد ربط هنا بين المنفعة والخطاب وعقد اتفاقية ضمنية بين المتكلم والمخاطب/المرسل و المرسل إليه، وتلك لعمري هي التداولية.

إن المتأمل في التراث العربي سوف يجد "التداولية" بجوهرها حاضرة في مختلف مناحي المعرفة من فقه، ولغة وأدب وأصول وتفسير وغيرها، الأمر الذي يحتم حضورها في الشعر الذي اعتبره النقاد والمؤرخون سجل الحياة العربية ([13]). بكل ما تحتويه تلك الحياة من تناقضات وأحاسيس ومشاعر.

فلولا خلال سنّها الشعر ما درى

بغاة العلا من أين تؤتى المكارم([14]).

فلا مشاحة في مركزية الشعر في الثقافة العربية، فالخليفة الراشد عمر بن الخطاب يقول: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه"([15]). والإشارات حول مكانة الشعر عند العرب لا حصر لها في تراثنا العربي.

الأمر الذي كرس المقولة المشهورة "الشعر ديوان العرب" وتُحدثنا كتب التاريخ عن كثير من القصص التي اهتمت بالسياق والبيئة في عملية تحليل الشعر من قبيل قصة عمر بن الخطاب مع الحطيئة و قصة علي بن الجهم مع المتوكل وغير ذلك جلل في تراثنا العربي، الأمر الذي جعلنا نؤمن بأن التداولية وإجراءاتها التطبيقية ليست غريبة على ثقافتنا العربية، ونتاجها الشعري، وأن عملية تطبيق هذه الإجراءات أو بعضها بُغية الاستفادة منها في تحليل الخطاب الشعري لن يكون بتلك الغرابة أو ذلك التعسف والتكلف الذي وقعت فيه مناهج أخرى بعيدة عن الثقافة العربية وإنتاجها،

جدل حول المصطلح

ها قد عادت اللسانيات في منصف القرن العشرين إلي الارتكاز على الخلفيات الفلسفية، بعد مسيرة طويلة من اعتمادها على البنيوية، التي أهملت العمق الفلسفي في الخطاب، فقد أصبحت الفلسفة الحديثة أكثر اتصالا باللغة الأمر الذي جعلها تساهم في تطويرها مع اللسانيات الحديثة.

وإن اللسانيات التداولية ما هي إلا امتداد لما أسسه بيرس وأطلق عليه (pragmaticism) وعدل عليه وأذاعه وطوره فيما بعد ويليام جيمس في مطلع القرن العشرين وعماد هذه الفلسفة التي تبنتها النخب الأمريكية فيما بعد أن قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع وصياغتها علميا ([16]). وقد التصقت هذه السمة بالثقافة الأمريكية الحديثة فأصبحت سمة لها، حيث تنظر إلى نفعية النظريات وانعكاسها على الحياة والعالم الواقعي، بعيدا عن مثل وعوالم الفلسفة المثالية.

---

[9] اللغة ودلالتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة الكويت، 2000م، م ج 28، ع 3، ص:30.

[10] عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني (بحث ماجستير نوقش في العام الدراسي 2016/2015) ص:3

[11] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت ،1992، ص26.

[12] أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، 1989م، ص:39.

[13] ينظر: علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار التراث الأول، 1991م، ص:44

[14] أبو تمام ديوانه دار الكتاب العربي، 1992. ص:134

[15] ابن قتيبة الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423 ج1 ، ص:7

[16] ينظر: محمود زيدان، وليم جيمس، دار المعارف 1998، ص 182.

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

وإن هذه السمة الفلسفية التي تأسست عليها التداولية أثرت كثيرا في ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية حيث نراها اضطربت اضطرابات تُرجمية كبيرة قبل أن تستقر على ما استقرت عليه فمصطلح التداولية إذا ما قورن بالمصطلح الغربي فإنّه لا يخرج عن مبدأ الاستعمال ولكن وفق مسلمات عربية لربّما اختلفت عن بعض المسلمات الغربية من حيث النشأة والتطور.

ولقد صرّح الناقد والفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن بهذا حين قال: "...إني وضعت هذا المصطلح – يعني التداولية- منذ سنة 1970 في مقابل Pragmatique، ولو أنّ التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية لفضلوها على اللفظة الفرنسية سابقا لسبب واحد، وهو أنّها لا تفي بالمقصود من علم التداول، فلفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة، وتفيد أيضا التفاعل في التخاطب، ثم بالإضافة إلى ذلك أنّها من مادة واحدة ولفظة الدلالة نفسها، يعني أنّ التداول سوف يرتبط بالدلالة؛ فإذن هذا هو التبرير العلمي الأولي لمصطلح التداول"([17]).

ولئن كانت البراغماتية اللسانية الغربية لا تعترف إلا بمادّية الفعل و واقعيته، فالتداولية العربية تؤيد ذلك، ولكن بطريقة تتماشى مع الفكر والثقافة التي تنتمي إليها فهي لا تعزو كل شيء إلى انطباقه عمليا، الأمر الذي يعكس الجانب الروحي للثقافة العربية وكل ما يتعلق بها.

ومن أجل أن نقف على حقيقة اللغة، تدعو التداولية إلى التركيز على الجوانب التي أهملتها اللسانيات، فأهم ميزة يمتاز بها التصور التداولي هو الاستعمال المتماشي مع مقتضيات السياق اللغوي والمصاحب والمقيّد بالمقام.

ويشترط التصور التداولي من جهة الاستعمال وجود: خطاب، ومخاطب، وقصد متواضع ومتفق عليه، ومتكلم وبعد اجتماعي تواصلي بين المتكلم والمخاطب([18]). فدراسة علاقة اللغة بمستخدميها أوجدت أسئلة ربما لم يستطع النحو والبلاغة الإجابة عنها، بينما نعتقد أن التداولية بحكم اهتمامها بعناصر الإبلاغ وظروف الخطاب تستطيع أن تجيب، خاصة حين يتعلق الأمر بالشعر الذي يجمع النقاد ومؤرخو الأدب أنه سجل حياة العرب الاجتماعية بكل ما تحمله من فكر وعقائد وإديولوجيا وأحاسيس.

الشعر والتداولية ومحاولة الربط

لقد استغرق الشعر العربي –على حد اعتقادنا- كل مناحي الحياة، حتى أن النقاد القدامى قسموا الشعر حسب موضوعاته من غزل ونسيب و مدح وهجاء و وصف وفخر وحماسة وغيرها حتى استغرقوا بذلك كل موضوعات الحياة عندهم، وفي كل طور مجتمعي ضمن التطورات الاجتماعية الطبيعية نلاحظ أن الشعر يواكب تلك التطورات أولا بأول، وما التجديد في الأغراض الذي شهده العصر العباسي إلا مثالا على ذلك، فالمتابع لحركة الشعر عبر العصور المختلفة يدرك أن الشعر يتكيف ويتماشى ويتجدد مع الحياة الاجتماعية العربية، فمنذ فجر التاريخ العربي والشعر يحتل فيه مركز الصدارة أو ما يوازيها وينافسها على التأثير والمركزية، فلم يكن التاريخ ليحتفظ لنا بعنترة أو الشنفرى أو غيرهم لولا الشعر.

وبعد مجيئ الإسلام ونزول القرءان الكريم الذي أصبح عُمدة البناء الخطابي للمجتمع العربي، لم يتدهور الشعر كما كان متوقعا، بل زاد من توغله في العقول والنفوس العربية من خلال تحوله إلى منبر إسلامي يخدم الدين الجديد –عند الشعراء المسلمين- ويستمد قوته وشرعيته وثقافته و رمزيته من خلال القرءان الكريم الذي تحمل إحدى سوره اسم "الشعراء".

كما أنّ القرءان الكريم ردّ على الشعراء من غير المسلمين الذين استخدموا الشعر في حربهم مع الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتجاوزهم الأخلاقي في الكذب والتلفيق والهجاء والفحش وغيرها[19]، لكن الآية الكريمة التي بينت كذب الشعراء وتلفيقهم لم تستغرق كل جنس الشعراء فجاءت بالاستثناء الذي مثله شعراء المسلمين الذين يمارسون الشعر من أجل نصرة الدين وتكريس مكارم الأخلاق في المجتمع والتي جاء الإسلام ليتممها.

---

[17] - طه عبد الرحمن: الدواليات والتداوليات. البحث اللساني السيميائي. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس. ط1، المغرب، 1984، ص:299.

[18] - ينظر بالتفصيل إلى نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة. منشورات باجي مختار، عنابة، 2006. ص:171-174.

[19] ينظر. الإمام الزمخشري، الكشاف، تحقيق عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي،2007 : ص 376

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

إذن فالشعر العربي شديد الارتباط بالعقلية العربية والمجتمع وشديد التكيف مع كل تطور أو تحول اجتماعي، بدءا باستخدامه في الجاهلية لتخليد أيام القبيلة أو وضعها مرورا باستخدامه لمحاربة الإسلام عند المشركين ولخدمة الإسلام والذب عن النبي صلى الله عليه وسلم عند شعراء الإسلام، ثم استخدامه وسيلة دعائية في صراع الملل والنحل، والنزعات العرقية والحركات والإديولوجيات السياسية فيما بعد.

إن أي محاولة لقراءة الشعر العربي سوف تبقى قراءة ناقصة ما لم تضع نصب عينها هذه المسألة، وتعي تمام الوعي أنها تتعامل مع خطاب متعدد الأبعاد، أبدعه منتجه في إطار معقد من التفاعل مع المحيطين به في قوالب تحيط بها زحمة من المؤشرات والرموز والأنساق الثقافية والمعطيات السياقية والمقامية.

وإن هذا التعقيد وهذه "الزحمة السياقية" التي تحيط بالخطاب هي التي جعلتنا نستنجد بالتداولية منهجا ونتخذها إجراءا لأن التداولية تحط رحالها في هذا الخضم مبينة البعد التواصلي الاجتماعي بين المتكلم والمخاطب، وفق مقتضيات السياق اللغوي المصاحب والمقيد بالمقام، وسوف نعطي نموذجا تطبيقا على استخدام بعض الإجراءات التداولية في تحليل بعض النماذج الشعرية المختلفة من حيث العصور والمواضيع.

أ- الأفعال الكلامية:

وفيما يلي بعض النماذج الشعرية التي نخضعها لإحدى أشهر النظريات التداولية التي تفترض الورقة نجاعتها في عملية التحليل وكشف المعاني التي يتضمنها الخطاب الشعري الشعر، بوصف الشاعر خاطب ودٍ للمتلقي وبوصفه باحثا عن التأثير فيه، وساعياً لحمله على تبني أفكاره ورؤاه وتصوراته.

إنّ المتمعن فيما أشار إليه صاحب نظرية الأفعال الكلامية أوستن (Austin) في شأن مفهوم الفعل الكلامي يجده قد تعامل مع الفعل تبعا لما يقتضيه القول، ولهذا ميّز أوستن أفعالا ثلاثة ترتبط بالقول(Locution وهي على النحو الآتي[20]:

- فعل القول (Locutionary act): وهو إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم مع تحديد ما لها من معنى ومرجوع إليه، وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول، لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول، فإنّه لا يزال كاف لإدراكنا أبعاد هذا القول.
- الفعل المتضمن في القول
- الفعل الناتج عن القول، أو الفعل بواسطة القول .

وإنّ موضوع البحث بالنسبة لأوستن هو الفعل الثاني ، من هذه الأفعال الثلاثة أي: الفعل المتضمن في القول، وبالنظر إلى نظرية الأفعال الكلامية فقد طوَّر "سيرل"[21] وهو التلميذ نظرية أستاذه "أوستين" – سابق الذِكر- وقد آثرنا أن تكون معالجتنا التطبيقية بناء على تصنيف "سيرل" الذي يعتبر تصنيفا ناضجا بحيث يعتبر الممثل الشرعي لهذه النظرية، وخلال عملية الرصد التي قمنا بها لأفعال اللغة فيما استحضرناه من نماذج استطعنا – من وهلة لأخرى- الوقوف على عدّة مفاهيم تتصل بالإنجاز، ونوع الفعل من حيث ما يحتوي عليه من تصريح أو تلميح.

ونحن نعتقد أن إسقاط مفاهيم هذه النظرية (نظرية أفعال الكلام) على نص شعري يقتضي الإجابة عن أسئلة من هذا النحو:

- حين نعتبر أن الخطاب الشعري فعلاً كلامياً "إنجازياً" وأنّ الفعل الكلامي عند "سيرل" من النوع المسمى بالفعل الإنجازي، وهو وحدة الاتصال الإنساني باللغة[22] ، فإلى أيّ حدّ حقق غاية التأثير ؟ الأمر الذي سوف نحاوله في جولتنا التحليلية –رغم محدودية المساحة- واختصارٍ في المراس مع النماذج المختارة إلا أننا سوف نتعامل مع الأفعال الكلامية كما صنفها "سيرل" محاولين الابتعاد عن أي تكلف أو تعسف أو غموض بدأ يسود المقالات والورقات النقدية الحديثة:

---

[20] ينظر: طالب هاشم طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية. مجلة الفكر العربي المعاصر. مركز الإنماء القومي، بيروت. العدد 98-99. 1992. ص: 66.

[21] تبنى "سيرل" اقتراحات شيخه "أوستين" مشددا على أن فعل القول لا يمكن تحققه من دون قوة إنجازية، و من جهة أخرى أجرى تعديلات على تصنيف "أوستين" للأفعال اللغوية، بالإضافة إلى الاهتمام الخاص الذي أعطاه للمعنى والمحتوى القضوي

[22] تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي في قصيدة منشورات فدائية لنزار قباني، رسالة ماجستير للباحث: طارق خلايفه، جامعة محمد لخضر، الجزائر 2015 ص:128

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

- **الأفعال الدالة على الإثبات (الإخباريات Assertive)**

فزهير حين قال:

وَمَا الحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ[23]

نلاحظ بجلاء أن البنية الخطابية لهذا البيت نشأت في أحضان العملية التواصلية، لأن الشاعر يرمي من خلال هذا الأسلوب إلى زيادة التقرير، وإلى حمل المتلقي على التصديق فيقوم الشاعر بيان مجموعة حقائق وصفًا وتقريرا وتأكيدًا، أو يقوم بنقل مجموعة من التجارب العامة التي عاشها هو بنفسه أو المخاطب أو ومجموعة المخاطبين، فالشاعر لا يريد أن يخبرنا بوصفه للحرب أو ما يتصوره عن نتائجها فحسب بل هو يصبو إلى أبعد من ذلك، فنراه أشرك المتلقي في التصور بفعلين يفيدان تمام التصور والإدراك لنتيجة الحرب فنراه استخدم الفعلين "علمتم" و "ذقتم" فجعل المتلقي/المخاطب على يقين من نتيجة الحرب التي علمها الناس وذاقوا مُرّها سابقا بناء على تجارب العرب المسبقة، فزهير لم يضف معلومة جديدة للمتلقي بل ذكره بما كان يعرف سابقا، من أجل أن يتفهم المتلقي موقف زهير الرافض للحرب ويتبناه أيضا فيما بعد.

فنراه استخدم تقنيات لغوية مختلفة من أجل تحقيق الإنجاز في البيت وفي القصيدة بشكل عام، فقد استخدم هنا النداء ليحصر به تعريف الحرب مستخدماً أداة الاستثناء "إلاّ".

2- **أفعال التوجيه (التوجيهات Directives):**

و يقول أحمد بن الحسين (المتنبي):

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفةٌ ... إن المعارفَ في أهل النهى ذممُ[24]

يسعى المتنبي في هذا البيت و القصيدة كلها إلى حمل سيف الدولة على الندم لمعاملته التي يرى الشاعر بأنها لا تليق بشاعر عظيم مثله، فنراه في القصيدة يراوح بين العتاب ومدح نفسه وحبه لسيف الدولة من أجل أن يسد الفجوة التي خلقها أعداؤه مع صديقه الأمير.

فالشاعر هنا "يُوّجِه" الحطاب، أي يسوقه لأن يكون مثبتاً ومقررا، فيشحن كل خطابه بكل طاقات اللغة من أمثله وحكم وغيرها من أجل أن يوجه الخطاب، من أجل إقناع الأمير بعدم هجره وألا ينسى كل ما كان بينهما من ود بسبب فجوة بسيطة.

فالبيت يتضمن طلباً وإن كان غير صريح، فإننا نلاحظ أن الشاعر استعمل بعض الأدوات النحوية التي أسهمت بخلق الإنجازية فيه نحو: إنّ، وجملة الاعتراض، كذلك تقديم ما كان حقه التأخير وتأخير ما حقّه التقديم، وكذلك استعمال المؤكدات متماشيا في بنائه للخطاب مع حال المخاطب شكاً أو إنكارا، ويعتبر هذا النوع داخلا ضمن أنواع الجملة الخبرية، والتي نجدها ارتبطت ضمنيا بالتقرير والإثبات، وعملت كلّها على إقناع المخاطب المفرد الذي استخدم له الشاعر ضمير الجمع احتراما وتعظيما له وتهيئاً نفسيا له حتى يقتنع بما يريد منه الشاعر أن يقتنع به.

3 - **أفعال الوعد (الالتزاميات):**

نلاحظ أن الشاعر/المتكلم في هذا النوع من الأفعال الكلامية يلتزم بدرجات متفاوتة من أجل القيام بأفعال ما في المستقبل "عن سبق إصرار وترصد" -كما يقول أهل القانون- ،إلا أن ما يميز هذا النوع من الأفعال عن سابقيه كونه لا يتوخى التأثير المباشر على السامع [25] بقدر ما يتوخى حمل السامع على تصديق وفائه بالوعد أو الوعيد.

يقول الشاعر عمرو بن كلثوم:

مَتى نَنقُل إلى قَومٍ رَحانا كونوا في اللقاءِ لَها طَحينا
يَكونُ ثِفالُها شَرقِيَّ نَجدٍ وَلُهوَتُها قُضَاعَةَ أَجمَعينا
نَزَلتُم مَنزِلَ الأَضيافِ مِنّا فَأَعجَلنا القِرى أَن تَشتُمونا

فالمعنى الخفي لهذا المنطوق المعبّر عنه يصدقه الواقع الموصوف في السياق المصاحب لزمن الخطاب، أمّا القوة الإنجازية فإنها تفصح عن الإنذار والتهديد، الملازم لفعل الكلام، والمتمثل في البطش بكل الأعداء أياً كانوا وأياً

[23] الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 2006، ص:116
[24] الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مكتبة الوراق، (كتاب رقمي) 243/1
[25] بوقرة نعمان ، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، ص 102.

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

كانت مكانتهم وتركهم على حال مضطربة يسودها الهلع وفقدان الأمن ، فمثل هذا الصنف من الأفعال اللغوية التقريرية يعد فيه المنطوق تأكيدًا من المتكلم تجاه المخاطب بأن القول المعني يمثل حالاً حقيقية[26].

فالقوة الإنجازية التي يتضمنها القول/القصيدة عرضت بقوة (التحذير) المكرر صراحة أو إضمارا في باقي أبيات القصيدة، ليحقق فعلاً إنجازيا هو التحذير شديد اللهجة، يدعو الشاعر/المتكلم من خلاله الملك/المخاطب إلى إعادة النظر فيما كان عنده من مسلمات والانتباه والتحلي بالحيطة والحذر لخطورة الموقف الذي وضع فيه نفسه من خلال استخفافه بهذه القبيلة العظيمة التي ليست كباقي القبائل التي عهد الملك التعامل معها في مواقف مشابهة ، فالفعل المتضمن في القول هنا، هو التهديد والوعيد، والملاحظ في هذا الفعل التوجيهي، أنه يخلق أسبابا للمخاطب كي يؤدي ما طلب منه، وحمله على القيام بفعل معين، هو عدم المخاطرة بالدخول في حرب مع بني تغلب.

فالشاعر أراد إدخال الحماس والتشجيع في نفوس أبناء قبيلته بتذكيرهم بمكانتهم وحملهم على أي مواجهة محتملة بينهم مع الملك وأراد أيضا وهو الهدف الأول أن يبث الرعب والذعر في نفس الملك وحمله على إعادة الحسابات...وتعتبر مثل هذه المنطوقات من الأفعال بمنزلة الأفعال (السلوكيات) بعبارة (أوستين): "إنّ قولنا شيئا ما يعني أننا تصرفنا أو فعلنا شيئا ما[27]" .

4- التعبيريات (Expressive)

وتتجلى هذه الأفعال في التعبير عن الحالات النفسية العميقة من رثاء أو غزل أو كل ما يدخل في طائلة المشاعر النفسية الصادقة والعميقة، يقول نزار قباني:

أحبه .. لست أدري ما أحب به حتى خطاياه ما عادت خطاياه[28]
الحب في الأرض . بعض من تخيلنا لو لم نجده عليها .. لاخترعناه

لقد استخدم نزار –عن وعي- كل طاقات اللغة الممكنة دون أن يزيد في معجمه اللفظي عن الألفاظ المألوفة المتداولة، لنكه خلق بينها علاقات، من أجل أن تبرز إنجازية الفعل الكلامي، لذلك تجدنا نعتقد أن أي محاولة لتقصي البُنى الدلالية المضمرة في الخطاب، سوف تظل تقليدية ورتيبة مالم تجنح ولو قليلاً إلى نظرية الأفعال الكلامية، حيث ستسمح لك هذه النظرية بتقصي الأفعال اللغوية غير المباشرة والتي تخرج في الاستعمال عن دلالاتها الحرفية، فتبدوا تارة كأفعال تقريرية أو إخبارية إلا أنها تحمل في حقيقتها دلالات أكثر رحابة وسعة وانفتاحاً، فنزار هنا استخدم الأفعال (نجد) و (اخترعنا) فحمّلهُما من المشاعر ما لا يحملانه أصلا في عالم الخطاب الطبيعي، نظرا لما يملكه الشعر من إمكانات اكتشاف قدرات اللغة، الأمر الذي أسهم كثيرا في إنجازية النص الشعري هذا.

وحين نقرأ أيضا نص نزار الذي يرثي فيه الزعيم العربي جمال عبد الناصر ويعاتب فيه الجماهير العربية سندرك مدى كثافة الخطاب فيه:

قتلناك .. يا آخر الأنبياء .. قتلناك[29]
ليس جديدا علينا
اغتيال الصحابة والأولياء
فكم من رسول قتلنا ..
وكم من إمام ذبحناه وهو يصلى صلاة العشاء ..
فتاريخنا كله محنة ..
وأيامنا كلها كربلاء ..

---

[26] كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ت رجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر- ط1، 2005، ص 112.

[27] جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 123.

[28] نزار قباني، الأعمال الكاملة، نسخة رقمية

[29] إسماعيل العقباوي. الأعمال الكاملة الكاملة لنزار فباني، مكتبة جزيرة الورد، (نسخة رقمية)

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

فالشاعر أشرك نفسه في جريمة القتل التي كنى بها عن التخلي عن أفكار جمال وبدأ يعاتب نفسه والعرب مستخدما أفعالا ساهمت في تحقيق الإنجازية التعبيرية إلى حد بعيد (قتلناك، التي تكررت في هذا المقطع أربع مرات، ذبحنا، كلها أفعال تفيد الندم و الإحساس بالذنب العظيم ومحاولة التخفيف من ألم الضمير بالاعتراف به، والندم عليه.

وبناء على وعد المصارحة السابق وعدم الغموض الذي وعدنا به في مستهل الورقة، نشير في هذا المقام إلي صعوبة تصنيف هذه الأفعال تصنيفاً دقيقاً وصارماً في الخطابات الشعرية خاصة والخطابات الشعرية الحديثة على وجه أخص نظرا لكثافة خطاباتها وعدم مباشرتها ورمزيتها، فنزار في النص الأخير استخدم عدة رموز تعطي النص كثافة خطابية،(الأنبياء، الصحابة، الأولياء، إمام، القتل في أثناء الصلاة، المحنة، كربلاء) يحمل كل رمز من هذه الرموز شحنات دلالية كبيرة، مما يترك بنية الخطاب الشعري منفتحة على صنوف شتى من التأويل.

5- **الإعلانيات:(Declarations)**

ينظر إلى هذا النوع من الأفعال على أنها تِلك التي يعود نجاح إنجازها إلى توافق بين المضمون القضوي[30] مع الواقع فمثلا حين ننظر إلى نص درويش "عابرون في كلام عابر" حيث يقول فيه:

أيها المارون بين الكلمات العابرة[31]
منكم السيف ـ ومنا دمنا
منكم الفولاذ والنار- ومنا لحمنا
منكم دبابة اخرى- ومنا حجر
منكم قنبلة الغاز ـ ومنا المطر
وعلينا ما عليكم من سماء وهواء
فخذوا حصتكم من دمنا وانصرفوا

فعنوان القصيدة وحده يشكل إعلانا فقد وضع الشاعر اليهود في وضع العابرين في الكلام العابر وفي نفس الوقت وضع الفلسطينيين في الجانب المعاكس (باقون في الكلام الباقي) وقد أبان الشاعر/المتكلم في هذا النص/الخطاب عن هذه المقبلات والمقارنات بين الفلسطينيين والإسرائيليين، حيث أسهمت هذه المقارنات في إنجازية الفعل الخطابي الإعلاني للنص، فالشاعر يكرس أصالة الفلسطينيين في أرضهم وحداثة المحتل الدخيل، وقد استخدم الشاعر/المتكلم أفعالا وأدوات لغوية كثيرة من أجل تكرس إنجازية الإعلان الذي يوافق الحقيقة وفقد اعتمدت المقارنة على إضافة كل ما هو أصلي وطبيعي للفلسطينيين وكل ما هو مصطنع وطارئ للمحتل الإسرائيلي ومستخدما في ذلك كل مقدرات اللغة والرمز من أجل تحقيق هذه الإنجازية.

الخاتمة

إنها تجربة فريدة ممتعة ومختلفة تجعلنا نشاهد المشهد الشعر من زاوية مختلفة، إن نافذة "التداولية" أو منظارها يجعلنا نشاهد في الخطاب الأدبي عامة والشعري خاصة ما لم نشاهده من نوافذ ومناظير أخرى، حيث شكلت التداولية فتحاً كبيراً خاصة مع ما جاء به كبار منظريها مثل أوستين وسيرل و جرايس و بنفنيست، حيث أسهم هؤلاء من خلال هذه النظرية أو النظريات –إن صح التعبير- بالخروج بالخطاب الشعري مما سقطت فيه مناهج البنيوية؛ فأقحموا في عملية التحليل عناصر تم تجاوزها عن قصد أو عن غيره لأسباب تاريخية إبستيمولوجية من البحث اللساني.

---

[30] يعرف "معجم السرديات" -الذي أعده محمد القاضي صحبة مجموعة من الأساتذة والباحثين، وكذلك شكري السعدي في كتابه الموسوم بقضايا الحدث في الدراسات اللسانية وفلسفة اللغة الصادر عن الدار التونسية للكتاب سنة 2016- المضمون القضوي بأنه: ذلك المحتوى لخبري أو المعنى الذي تتضمنه الجملة الإخبارية بصرف النظر عن الطريقة التي تم التوسل بها إلى ذلك الفعل، فمثلا عنما نقول: أوقفت الشرطة المتهم بعملية السطو على بنك كذا، أو نقول: وقع المتهم في قبضة الشرطة، المضمون الخبري واحد، أو نقول: قف يا زيد أو لقد وقف زيد، فالمضمون القضوي هو وقوف زيد.

[31] محمود درويش "مختارات شعرية" 2011، ص:203

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

لكن الباحث الراغب في تطبيق هذه "الإجراءات التداولية" يواجه صعوبة من حيث تطبيقها وتكمن تلك الصعوبة –حسب وجهة نظرنا- في الكم الهائل الذي يواجه الباحث من المصطلحات المتراكمة والمتداخلة والمتشعبة من عدة حقول (لسانية و فلسفية وأنثروبولوجية...إلخ)،انصهرت هذه المصطلحات ضمن مستويات متعددة، حتّمت على الباحث الرجوع إلى نقطة البداية من أجل فهمها بصفة تشفي الغليل، الأمر الذي حدا بنا إلى الدخول في مقدمات نظرية كنا نود تجنبها في بحثنا التطبيقي هذا، لكن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب على حد تعبير الأصوليين.

وانطلاقا من مراسنا السابق نلحظ أن البحث تطور تطورا لافتا في العلوم الإنسانية وقطع أشواطا من كبيرة اهتمامه بدراسة التشابه واكتشاف العلاقات بين العلوم إلى الاهتمام بدراسة التكامل والتداخل بين هذه الحقول المعرفية، الأمر الذي انبثق عنه اتجاه وظيفي تواصلي يعتبر اللغة والعمل الإبداعي ظاهرة اجتماعية، وقد اعتمد هذا الاتجاه على الروافد الفلسفية والنقدية واللسانية الأمر الذي ساعد الدرس التداولي على بلورة مفهومه، ومن خلال إسقاط بعض هذه النظريات التداولية في هذه الورقة البحثية المختصرة خرجنا بمجموعة ملاحظات نلخصها في التالي:

- ✓ نلحظ تراجعاً واضحاً للبنيوية، فما عادت ثنائية اللغة والكلام تشبع نهم المحلل، وما عادت اللغة تدرس لذاتها كما كان "ديسوسير" يدعو إلى ذلك.،
- ✓ ومع تراجع البنيوية نلظ تعالي الأصوات النقدية التي تنادي للنظر للخطاب الشعري بدل النص الشعري
- ✓ توجد إشارات قوية في مباحث مختلفة من التراث العربي القديم تهتم بالبعد التداولي ولا تقل أهمية عما هو موجود بين أيدينا، خاصة عند علماء التفسير والأصول والنحو والأدب.
- ✓ يلعب السياق دورا محوريا في عملية التحليل عن طريق استخدام الإجراءات التداولية، ويمكن تكثيف ذلك بامتلاك معلومات حول الفترة التي نشأ فيها الشاعر ومناسبة الخطاب/القصيدة، وجنس الخطاب ونوعه الذي ينتمي إليه، هذا طبعا مع امتلاك ناصية اللغة التي أنتجت الخطاب وثقافة واسعة بتلك اللغة وكل ما يحيط بها من أساطير ورموز تمكن المحلل من قراءة الشحنات الدلالية التي تحملها في الخطاب.
- ✓ المتلقي/القارئ هو من يعطي النص/الخطاب حركية ديناميكية من خلال تفاعله مع اللغة حيث يعتبر فعل القراءة هو حجر الأساس في تفسير وتأويل الخطاب الشعري المعقد والمليء بالإشارات والرموز والإيحاءات.
- ✓ تجاوز مفهوم الفعل الكلامي في الخطاب الشعري مفهوم القول، إلى ما يطلق عليه الإنجازية، وهي أن تكون الأفعال الكلامية في الخطاب ناجحة ومحققة لغايتها وهدفها، الأمر الذي يفسره بقاء هذه الخطابات صامدة وصالحة للستشهاد/التداول رغم ما مضى عليها من زمن طويل، فالفعل الكلامي لا يتحقق بمجرد التلفظ فقط، والشعر فعل كلامي تتحقق فيه الإنجازية بحصول التأثير الذي سيق الشعر من أجله.
- ✓ رغم تعالى اللغة الشعرية عن المألوف، وجموح مفرداته ونزوعه غالبا إلى الإشارة وعدم التصريح إلا أنه رغم ذلك يسعى للتأثير والتأثير لا يمكن أيكون إلا تاليا وناتجا عن التواصل، الأمر الذي يجعلنا نقول أن الخطاب الشعري لم يهمل التواصل ولكنه سعى إليه بطريقته الخاصة.

المصادر والمراجع

1. ابن قتيبة الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423
2. أبو تمام ديوانه دار الكتاب العربي، 1992. ص:134
3. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، 1989م، 39.
4. إسماعيل العقباوي. الأعمال الكاملة لنزار فباني، مكتبة جزيرة الورد، (نسخة رقمية)
5. الإمام الزمحشري، الكشاف، تحقيق عبد الرازق المهدي، دار إحياء التراث العربي،2007
6. بوقرة نعمان ، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري.
7. شكري السعدي ،الحدث في الدراسات اللسانية وفلسفة اللغة ، الدار التونسية للكتاب ، 2016
8. محمد القاضي، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010
9. جون لانكشو أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة.
10. الخطيب التبريزي، شرح القصائد العشر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 2006.
11. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت ،1992.

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

12. طارق خلايفه، تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي في قصيدة منشورات فدائية لنزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة محمد لخضر، الجزائر 2015.
13. طالب هاشم طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية. مجلة الفكر العربي المعاصر. مركز الإنماء القومي، بيروت. العدد 98-99. 1992. ص: 66.
14. طه عبد الرحمن: الداليات والتداوليات. البحث اللساني السيميائي. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس. ط1، المغرب، 1984.
15. علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار التراث الأول، 1991م،
16. عيسى تومي، الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني (بحث ماجستير نوقش في العام الدراسي 2016/2015)
17. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ت رجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر- ط1، 2005.
18. اللغة ودلالتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة الكويت، 2000م،
19. محمود درويش "مختارات شعرية" 2011،
20. محمود زيدان، وليم جيمس، دار المعارف 1998،
21. نزار قباني، الأعمال الكاملة، نسخة رقمية
22. نعمان بوقرة: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة. منشورات باجي مختار، عنابة، 2006.
23. الواحدي، شرح ديوان المتنبي، مكتبة الوراق، (كتاب رقمي)
24. مختار الفجاري: مناهج البحث اللغوي في العصر الحديث، دار الزمان، 2012
25. مطاع الصفدي: الخطاب الكثير، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 60-61،
26. محمد عابد الجابري تكوين العقل العربي، ط 14، 2014.

References

1. Ibn Qutaybah poetry and poets, Dar Al-Hadith, Cairo, 1423
2. Abu Tamam, his collection of the Arab Book House, 1992. p .: 134
3. Abu Hilal Al-Askari, The Two Industries, edited by: Mufid Qumaiha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1989 AD, 39
4. Ismail Al-Aqbawi. The Complete Works of Nizar Vebani, The Rose Island Library, (digital version)
5. Imam Al-Zamahhari, Al-Kashaf, edited by Abd Al-Raziq Al-Mahdi, Arab Heritage Revival House, 2007
6. Bougara Naaman, an introduction to the linguistic analysis of poetic discourse.
7. Shukri Saadi, The event in linguistic studies and the philosophy of language, Tunisian Book House, 2016
8. Muhammad Al-Qadi, Dictionary of Narrations, Muhammad Ali Publishing House, Tunis, 2010
9. John Lancashoe Austin, General Speech Verbs Theory.
10. Al-Khatib Al-Tabrizi, Explanation of the Ten Poems, Al-Ma'arif Foundation for Printing and Publishing, 2006.
11. Salah Fadl, Rhetoric and Textual Science, Kuwait, 1992.
12. Tariq Khleifeh, Receiving the Poetic Discourse from a deliberative perspective in the poem by Nazar Qabbani Feda Manuscripts, Master Thesis, Mohamed Lakhdar University, Algeria 2015.

DOI: 10.33193/JALHSS.60.2020.303
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (60) November 2020
العدد (60) نوفمبر 2020

13. Talib Hashem Tabatabai: The Theory of Verbs. Journal of Contemporary Arab Thought. National Development Center, Beirut. Issue 98-99. 1992. p: 66.
14. Taha Abdel-Rahman: Dalmatians and deliberations. Semiotic Linguistic Research. Faculty of Arts and Humanities in Rabat, Mohammed V University. I-1, Morocco, 1984.
15. Ali Al-Jundi, In the History of Pre-Islamic Literature, First Heritage House, 1991 AD,
16. Issa Tomei, The deliberative dimensions of the Qur'anic discourse (MA research discussed in the 2015/2016 academic year)
17. Klaus Brinker, Linguistic Analysis of the Text, An Introduction to Basic Concepts and Methods, translated by: Said Hassan Beheiry, Al-Mukhtar Foundation for Publishing and Distribution, Cairo - Egypt - 1st Edition, 2005.
18. Language and its connotations, a deliberative approximation of the rhetorical term, World of Thought Magazine, The National Council for Culture and Arts in the State of Kuwait, 2000 AD,
19. Mahmoud Darwish, "An Anthology of Poetry" 2011,
20. Mahmoud Zidan, William James, Dar Al Maaref 1998 ,.
21. Nizar Qabbani, Complete Works, digital version
22. Nouman Bouguerra: Lectures on contemporary linguistic schools. Publications of Badji Mokhtar, Annaba, 2006.
23. Al-Wahidi, Explanation of Diwan Al-Mutanabi, Al-Warraq Library, (digital book)
24. Mukhtar Al-Fajari: Linguistic Research Methods in the Modern Era, Dar Al-Zaman, 2012
25. Muta'a Al-Safadi: The Much Discourse, Journal of Contemporary Arab Thought, Issue 60-61,
26. Muhammad Abed Al-Jabri, Forming the Arab Mind, 14th Edition, 2014.